الاعلام الاسلامي : تعثر الرسالة في عصر الوسيلة

الاعلام الاسلامي : تعثر الرسالة في عصر الوسيلة ★

د . عزي عبد الرحمن
أستاذ محاضر
معهد علوم الاعلام والاتصال

مدخل :

يتميز الاعلام في العالم الاسلامي بسيادة البضائع الثقافية المستوردة من الغرب اساسا. وترد هذه البضائع في قوالب متنوعة تتضمن الاشهار، الافلام، المسلسلات شكل الخبر والتصور الذي يحدثه عن الواقع، الخ. وتمتد هذه القوالب ايضا الى الحصص ذات الطبيعة العلمية اذ أنها بالرغم من اتصافها بالعملية فهي مرتبطة باحتياجات الانسان الغربي ومن ثم فهي محكومة بسياق الزمان والمكان. وتحمل هذه البضائع قيما دخيلة تهدف الى تكسير البنيات الثقافية والمؤسسات الاجتماعية وعقول الافراد والجماعات في المجتمع الاسلامي خاصة.

وتزداد ضخامة هذه الظاهرة مع ظهور التكنولوجيا الحديثة للاتصال مثل بنوك المعلومات والفيديو والاعلام الالي والارسال التلفزيوني المباشر عبر الاقمار الصناعية الذي يجعل المحتويات التلفزيونية الغربية تنتقل مباشرة من محطات البث بهذه البلدان الى شاشات العالم الاسلامي دون المرور على محطات الاستقبال. ويندر تفجر هذه الظاهرة المعلوماتية الاتصالية بتقلص ثقافات افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية والعالم الاسلامي وانحصارها في شكل كيانات فلكلورية لامكانة لها في المسار التاريخي والبناء الحضاري. وتنذر هذه الثورة الاتصالية التي لم تعد تتقيد بعوائق الوقت والغرافيا بتحول العالم الى ماسماه ماكلوهان (أحد الباحثين الغربيين في ميدان الاعلام ووسائله) الى وحدة قبلية او قرية واحدة. ولكن اية قرية هذه ؟ انها قرية مصممة على النمط المعماري الغربي في معالمها وهندستها وقصورها ومعابدها وازقتها ومنافذها وفي زيها وبنيتها وفي مصاريف مباهها وفي مخارجها والتواءاتها. ويبدو واضحا بالمقابل ان العالم الاسلامي هو الكتلة الوحيدة التي تحاول ان تعترض على اقامة هذه القرية وتقدم البديل في قرية المجتمع الاسلامي المعاصر.

واقع الاعلام في المجتمع الاسلامي

ان معاينة واقع الاعلام في المجتمع الاسلامي تتطلب تحديد بعض المفاهيم عن ماهية الاعلام والاعلام الاسلامي .

1 ـ الاعلام : يقصد بالاعلام (والمترجم عن اللاتينية Information عامة سيرورة انتقال المعلومات من مصدر الى آخر ويرمز **الاعلام في علوم الاعلام** الى ماتبثه وسائل الاتصال من صحافة مكتوبة او سمعية بصرية (الاذاعة والتلفزيون) من محتويات اخبارية ثقافية اجتماعية، وترفيهية الى قطاع واسع من المجتمع . ويتضمن هذا التعريف عدة مكونات مترابطة تشكل ما يسمى بالاعلام . وهذه المكونات هي :

أ ـ المرسل او القائم بعملية النقل او التوصيل . وقد يكون المرسل رجل سياسة او داعية او اية هيئة اخرى . وما يتم التركيز عليه في علوم الاعلام هو الصحفي .

ب ـ الرسالة وتمثل محتوى الاعلام .

جـ ـ الوسيلة : اي القناة التي يتم بواسطتها نقل الرسالة

د ـ الجمهور : ويقصد به الملتقى افراد او جماعات .

هـ ـ الفاعل القائم بين هذه المكونات .

واذا فالاعلام يتضمن هذه المكونات الخمس والتي تنحصر في مقولة (1) من (أي المرسل) قال ماذا (اي الرسالة) في اية وسيلة (اي القناة) لمن (الجمهور) وباي تأثير (اي التفاعل القائم بين هذه المكونات) . وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى : «وقولوا للناس حسنا» . فالفعل «قولوا» يتضمن المرسل والوسيلة . و «للناس» تمثل الجمهور . و «حسنا» . هي الرسالة . وقد يكون تقديم الجمهور على الرسالة في الاية اشارة الى هذا التفاعل .

2 ـ الاعلام الاسلامي : هل هناك اعلام اسلامي ؟ هذا التساؤل ينطبق على قطاعات اخرى في المجتمع فيقال مثلا هل هناك اقتصاد اسلامي او حكم سياسي اسلامي او تشريع اسلامي ، الخ . وقد ظهرت فكرة الاعلام الاسلامي بصفة متقطعة في عدد من كتابات الباحثين الاعلاميين في بعض البلدان الاسلامية اذكر منهم على سبيل المثال الكاتب والباحث المصري محمد سيد محمد الذي كان استاذ للاعلام بجامعة الجزائر فيما بين سنة 1972 و 1974 والذي صدر له مؤلف بالجزائر سنة 1986 بعنوان **المسؤولية الاعلامية في الاسلام** (2) والذي يطرح فيه بعض الاسس النظرية الخاصة بفكرة الاعلام الاسلامي .

ويمكن القول في هذا التدخل ان الاعلام الاسلامي يتواجد واقعيا عندما يكون هناك مجتمع اسلامي . وفي انعدام شرط تواجد المجتمع الاسلامي ، يبقى الاعلام الاسلامي مشروعا يسعى إلى اقامة المجتمع الاسلامي والذي يؤدي بالضرورة الى تواجد الاعلام الاسلامي .

ويثار احيانا جدال حول العلاقة بين الاعلام والدعوة وعما اذا كان المفهومان مترافدين او متغايرين. يرى البعض ان الاعلام هو الجانب التبشيري بالعقيدة أي ان الاعلام وسيلة نشر الرسالة الاسلامية ان التركيز في الاعلام على المعلومات وهي تنتقل بينما ترتكز الدعوة على الرسالة فالوسيلة. ويذهب البعض الى انهما اكلمتيين متماثلتين فالاعلام هو الدعوة والدعوة هي الاعلام. ويؤكد البعض الآخر على ان نوعية الكلمتين متمايزتين فيرى فريق من هذا البعض ان الدعوة هي جزء من الاعلام ويرى فريق ان الاعلام هو جزء من الدعوة.

ويمكن توضيح هذا النقاش بالقول بان الاعلام هو وسيلة لنشر الدعوة الاسلامية في وضعية العالم الاسلامي الحالي ولكنها هي الاعلام في حد ذاته في مجتمع اسلامي معاصر ولقد اضحت كلمة الاعلام تعني في الدراسات الاعلامية علم الاتصال بالجماهير.

يتميز الاعلام في المجتمع الاسلامي بتواجد نمطين من الاعلام :

أ ـ اعلام شبه علماني ؛ ويسود في الصحافة المكتوبة من جرائدو مجلات وكتيب وفي وسائل سمعية بصرية (الاذاعة والتلفزيون والوسائل الحديثة الاخرى).

ب ـ اعلام ذو طبيعة اسلامية : ويتواجد هذا النوع في الصفحات الدينية بالجرائد وفي الحصص الدينية في الاذاعة والتلفزيون وفي المساجد والتجمعات الاسلامية وفي الكتب والملتقيات والحلقات، والمحاضرات، الخ .

ان الجدل بين النمطين غير متكافيء. ويمتاز الاعلام شبه العلماني بأنه يمتلك الوسيلة دون الرسالة (الحضارية). ويمتلك الاعلام الاسلامي الرسالة ولكنه لا يمتلك الوسيلة. ان هذا الملتقى يدخل في اطار ما يسمى بالاعلام الاسلامي، ولو كان هذا الاعلام يمتلك الوسيلة لامكن نقل اشغال هذا الملتقى مباشرة الى الشاشات التلفزيونية في مختلف انحاء العالم الاسلامي كي يشارك الانسان المسلم ايما كان فيما يدور في الملتقى تماما كما يفعل الاعلام العلماني عندما ينقل مباشرة المباريات الرياضية والحفلات الغنائية الدخيلة من البلدان الغربية والشرقية الى العالم الاسلامي.

ويمتاز هذا الاعلام المختلط بسيطرة المحتويات ذات الاصل الاجنبي كالافلام والبرامج التلفزيونية والقصص والمجلات والاخبار المستوردة بحيث اضحى العالم الاسلامي متلقيا ساكنا لمضامين منحازة مشوهة وهدامة تهدف الى النيل من اسس هذا العالم الاسلامي ومكوناته. ويتضح انه تقريبا في اية لحظة من كل يوم هناك فيلم غربي يعرض من بين ما في العالم الاسلامي.

وفي ظل وضعية التعايش ـ التصارع بين الاعلام شبه العلماني والاعلام الاسلامي ، استطاع هذا الاعلام المختلط ان يحتفظ بالاعلام الاسلامي داخل اطار اخلاقي وروحي بعيدا عن حركة التطور الاقتصادي والاجتماعي في العالم الاسلامي .

لقد عمد هذا الاعلام المختلط في سعيه الى تقليد التقنيات والممارسات التي تطورت في الغرب الى :

أ ـ اضعاف عالم المكتوب ، اذ ان عدد عناوين الكتب الصادرة في البلدان العربية كان 4000 عنوانا سنة 1965 وارتفع الى 7000 سنة 1985 بينما كان عدد عناوين الكتب في البلدان المصنعة 366000 سنة 1965 فارتفع الى 581500 سنة 1985 . ونجد ان عدد عناوين الكتب لكل مليون نسمة قد انخفض في البلدان العربية من 38 سنة 1965 الى 37 سنة 1985 بينما ارتفع عدد هذه العناوين من 357 سنة 1965 الى 490 عنوان لكل مليون نسمة سنة 1985 في البلدان المصنعة. وينطبق ذلك على الجرائد اليومية ايضا. فقد بلغ توزيع الجرائد اليومية في البلدان العربية 6 ملايين بينما بلغ عدد 384 مليون في البلدان العربية بينما كان العدد 319 في البلدان المصنعة في نفس السنة (1984). وتتكرر هذه الظاهرة ايضا في شأن انتاج واستهلاك ورق الصحف والانواع الاخرى من الورق للطباعة والكتابة . وان اضعاف المكتوب اضعاف حضاري ذلك ان المكتوب هو الذي يسمح بالتراكم ويشكل الحزام الذي تنتقل عبره الثقافة من جيل لآخر. وقد نادت الاية الكريمة : «باقرأ» ولم ترد في شكل اسمع او شاهد.

ب ـ تنمية الوسائل السمعية البصرية وتوسيع شبكاتها، فقد ارتفع عدد محطات بث اذاعة الراديو في البلدان العربية من 160 سنة 1965 الى 500 سنة 1985 . وارتفع عدد اجهزة الراديو من 6 ملايين سنة 1965 الى 43 مليون سنة 1985 . وقد ارتفع عدد اجهزة الراديو لكل ألف نسمة من 56 سنة 1965 الى 229 سنة 1985 . وارتفع عدد محطات ارسال التلفزيون من 75 سنة 1965 الى 550 سنة 1985 . وقد كان عدد اجهزة التلفزيون لكل 900 سنة 1965 فارتفع الى 16 مليون سنة 1985 . وارتفع عدد اجهزة التلفيزيون لكل الف نسمة من 8 سنة 1965 الى 85 سنة 1985 (3).

ويضاف الى ذلك ما استثمرته الدول العربية في اكتساب القمر الصناعي « عربسات » في هذه الثمانينات والذي لم يستخدم في تحقيق الترابط والتواثق بين أرجاء العالم العربي الاسلامي . واذا فان هناك ضعف في مجال المكتوب وتوسع في المجال السمعي البصري الشيء الذي مهد الارضية لغزو اعلامي في ظل ادخال هذه الوسائل الى العالم الاسلامي دون أن يكون هذا العالم مهيئا لانتاج المواد الثقافية التي تزود هذه الوسائل.

ويضاف الى ذلك متغير آخر يتمثل في أن اكتساب هذه الوسائل أوجد فئة نخبوية من يمتلكون هذا الجيل من وسائل الاتصال كأنظمة الهوائيات المقعرة والفيديو والاعلام الآلي المنزلي ، الخ . وقد أظهرت دراسة أجريت هذه السنة 1989 عن أساتذة جامعة الجزائر و وسائل الاتصال ،

(حسـاين ليلى وشيبـوط فريد، **أسـاتـذة الجـامعـة و وسـائـل الاتصـال** ،معهد علوم الاعلام والاتصال ، جامعة الجزائر 1989 . ان 40٪ من هؤلاء الاساتذة يشتركون في نظام الهوائيات التي تسمـح بالتقـاط الـبرامـج التلفزيونية الفرنسية مباشرة. ويعتبر هؤلاء ان ذلك تفتحا على الثقافات العالمية قبل الاشارة الى خطورتها كغزو اعلامي . يضاف الى ذلك ال 54٪ من هؤلاء يستمعون الى اذاعة البحر المتوسط (ذات النفوذ الفرنسي)و37٪ الى ال بي ، بي ، سي ، و30٪ فرانس أنتر، و20٪ الى مونتي كارلوو 7٪ الى صوت امريكا وأن 71٪ يطالعون صحيفة « لومند » .

ان هذه الوضعية لا ينبغي أن توحي بأن العالم الاسلامي ينبغي ألا يعمل جاهدا الى اكتساب الوسيلة والاشكال يتمثل في الاستخدام . وينبغي أن تتكيف الرسالة الاسلامية مع ما تفرضه هذه الوسائل ولا ينبغي أن تقتصر على الاحاديث الدينية وخطب الوعظ والارشاد بل ينبغي أن تمتد الى عالم الافلام والمسلسلات والحصص العلمية والتثقيفية والترفيهية والرسوم المتحركة وكل ذلك في سياق الهجس الاسلامي فالوسيلة في هذا العصر هي الرسالة كما يقول ماكلومان . وكل وسيلة اعـلامية جديدة تحدث ارتباكا في محيطنا النفسي وتفرض علينا نمطا خاصا من التصور والتفكير والذي يراقبنا بطريقة لا نحس بها. وهذا الشيء الذي يتطلب من الرسالة أن تأخذه بعين الاعتبار ولا تقتصر على العوائد التي أتت عليها الوسيلة.

ان عملية نقل الرسالة عبر الوسيلة تنقلنا ايضا الى مسألة النظارة التي ينظر بها الصحفي في العالم الاسلامي الى المجتمع وما يحدث فيه والى العالم من حوله وكذا الى تكوينه ومنطلقاته وخلفياته وتوجهاته. وقد اظهرت اللجنة العربية لدراسة قضايا الاعلام في الوطن العربي المتكونة من 94 خبـيرا مهنيا وبـاحثـا جامعيا والتي كلفتها المنظمة العربية للثقافة والعلوم بدراسة واقع الاعلام في هذه البلدان فيما بين 1982 و 1985 ان «النظريات الغربية في الاعلام رغم قصورها على تفسير الواقع الاعلامي العربي هي التي تسيطر على الاكاديميين الاعلاميين في الدول العربية وان «نماذج تكوين الصحفيين بالوطن العربي هي اما النموذج الفرنسي بالنسبة الى بلدان المغرب العـربي وامـا النموذج الانجلوساكسوني بالنسبة الى المشرق العربي» (1) ويتضح اذا ان البعد الاسـلامي يظل غائبـا في برامـج تكوين الصحفيين في مختلف المعاهد المنتشرة في انحاء العالم الاسلامي الشيء الذي دفع المؤتمر العالمي الاول للاعلام الاسلامي الذي انعقد في اندنوسيا نسبة 1980 باصدار توصية تلح على ضرورة انشاء معهد للاعلام الاسلامي تكون مهمته التدريب السريع للاعلاميين الحاليين وتكوين كوادر بشرية اسلامية. واذا فان الصحفي الذي هو احد الاليات التي تقوم بفرز وتطويع ما يرد الينا من محتويات من الخارج لا يمتلك البعد الذي يمكنه من اداء الرسالة التي تخدم مصالح الامة الاسلامية. ولقد سئل الرسول (ص) عن الساعة فقال «اذا ضيعت الامانة فانتظرو الساعة» قال السائل : «كيف اضاعتها» ؟ قال : اذا وسد الامر الى غير اهله» .

ان المـرسـل او الصحفي هو احـد مكونات الاعلام. ويقابل المرسل في العملية الاعلامية الجمهور. ويتبين في هذا الشأن ان الجمهور في العالم الاسلامي لم يستشر فيما يقدم له عبر هذه

الوسائل ولا يشارك في انتاج ثقافته ولقد عظم الاسلام الانسان المسلم ورفع من شأنه بينما عمدت وسائل الاتصال هذه الى تجاهله وتهميشه وتجهيله. وقد ساهمت هذه الوسائل في ترسيخ قيم **الامتثالية** حيث لم يعد هذا الفرد قادرا على نقد واقعه، **والسلبية**، حيث لم يستطع هذا الفرد تجاوز مواقع **الاستهلاكية المادية**، حيث اصبح الفرد يقيم ليس بما يقدمه للمجتمع ولكن بما يملك، وفي تفكيك لغة الاتصال، وفي المراقبة النفسية، وفي مخاطبة الغرائز والشهوات بعيدا عن مراقبة الوعي لدى الفرد، وغيرها.

ان التساؤل الذي يفرض نفسه هل ان هذا الاعلام المختلط قد ادى رسالة ما ثقافية كانت او اقتصادية او جماعية او طبية ؟ ان واقع المجتمع الاسلامي الحالي يجيب بالنفي. واذا كان الفقر يمثل اعتداء على الانسانية، والجهل اعتداء على الانسانية، والمرض اعتداء على الانسانية فان وسائل الاعلام بما تبثه من محتويات عن العنف والجنس هو اعتداء على الانسانية ايضا. ان نسب الامية في العالم الاسلامي هي من اعلى النسب في العالم وقد ظهرت هناك اشكال جديدة من مظاهر الاتصال كظاهرة الاشاعة والقيل والقال والتشريح والتجريح وغيرها. وفي دراسة اجريت هذه السنة 1989 « عن الاشاعة في المجتمع الجزائري» تم توقيف 72 اشاعة في الفترة ما بين نوفمبر 1988 وافريل 1981 وحدها وبعض هذه الاشعاعات ترمي الى خلخلة بنيان القيم الاجتماعية والثقافية الاسلامية في المجتمع (محسن التجاني وعبد النور بن هني)، كما ان هذا الاعلام لم يتمكن من توصيل الرسالة الاسلامية الى المجتمعات الاخرى مازال الاسلام مجهولا او غير مفهوم او مشوها في العديد من بقاع العالم، وبكلمة اخرى، فان هذا الاعلام عجز عن توصيل الرسالة الاسلامية داخليا وخارجيا.

مشروع نظام اعلامي في مجتمع اعلامي معاصر

ان اقامة مشروع نظام اعلامي يقوم اساسا على انقاض واقع الاعلام في المجتمع الاسلامي الحالي ومحاولة تجاوز تناقضاته. ان الاسلام يقدم نموذجا اعلاميا يقوم على فلسفة مغايرة لتلك التي تميز الاعلام الحالي في العالم الاسلامي اي ان الاسلام يوفر نظرة عن كل مكون من مكونات الاعلام التي اشرت اليها، فما هي هذه النظرة ؟

1ـ الرسالة الاعلامية : اذا كان كل من النظام الاعلامي اللبيرالي والنظام الاعلامي الماركسي يعتبر ان حقيقة الاعلام تكمن في علاقة وسائل الاعلام بالدولة ومن ثم فان هناك انظمة حرة واخرى مقيدة فان النظرة الاسلامية تعتبر ان الحقيقة تكمن في **الرسالة نفسها** وان العملية الاعلامية تجسدات تنبثق عن هذا الهجس الاسلامي. وتتمثل مهمة الرسالة الاسلامية في احدى جوانبها في توفير المعرفة سواء اكانت اقتصادية او ثقافية او طبية، الخ التي تمكن الفرد المسلم من التحكم في محيطه بكيفية عقلانية هادفة. وقد عرف محمد الغزالي الدعوة بأنها «برنامج كامل يضم في اطواره جميع المعارف التي يحتاج اليها الناس ليبصرو الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين» (4) وتهدف الرسالة الاعلامية في الاسلام الى تكوين الانسان

معـرفيا. وقـد حصرت في هذه المـداخلة بعض انـواع المعرفة التي يمكن ان تتضمنها الرسالة الاعلامية في الاسلام :

أ ـ المعرفة المعلوماتية : وترمز هذه الى البيانات والاحصائيات والمستندات و المعلومات التي تمكن الفـرد المسلم من التحكم في محيطه الاجتـماعي والاقتصـادي والنفسي والصحي. وقـد اوضحت الدراسات النفسية الاجتماعية انه كلما كان الفرد عارفا بهذا الذي يقوم به كلما استطاع ان يؤثر ايجابا في ذلك الشيء. يقول ارثر شلازنغر «اعط اي انسان معلومات دقيقة وصحيحة. ستكون فرصة الخطأ وارادة لدى هذا الفرد ولكن فرصة الوصول الى الحقيقة ستظل معه الى الابد، اعط اي انسان معلومات خاطئة او مشوهة او ناقصة واذا فانك تكون قد حرمته من هذه الفرصة وحطمت كل جهاز تفكيره ونزلت به الى مادون مستوى الانسان «وما احوجنا الى هذا النوع من المعرفة وقد انتقد محمد حسين هيكل الصحافة في البلدان العربية فيقول «كلها اراء» اذ يندر تداول المعلومات او معرفة ما يجرى. وما يسمح به في ظل هذا الواقع هو «ابداء الراي في كل شيء من المـريخ حتى اصغـر الاشياء» ويعيد هيكل هذا المواقع الى «كون الاراء لا تعين احدا بيد ان المعـلـومـات تمس جوهـر مافي الصحافة فالمجتمعات العربية والاسلامية لا تمانع في ابداء الراي ولكنها» تتحكم في حجب المعرفة . (5)

ب ـ المعـرفة التجارية التي تعرفنا عن تجارب الناس في معاناتهم اليومية وغنى تجاربهم التي انعمهم الله بها قصد استلهام دلائلها في الزمان والمكان وتوثيق الصلة بين افراد المجتمع الاسلامي «انا جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا»

ج ـ المعرفة الانعتاقية وهي المعرفة التي تقترح الحلول للمشاكل والتحديات الانية التي يعانيها المجتمع الاسلامي. ان الاعلام الاسلامي لا يشخص الداء فحسب ولكنه يأخذ بيد المسلم اذ ان هذا المجتمع بنيان مرصوص اذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى حتى يعود العضو الى مكانته في جسم المجتمع.

وتقوم الرسالة الاسلامية في تجسيد **الصدق** على مواصفات تقوم على **المسؤولية** «وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» **والانصاف** وان قلتم فادعلوا ولو كان ذا قربي، **وتحري الدقة** «وقولوا قولا سديدا» . وقد بلغت بعض الاحاديث النبوية في تصوير هذه الدقة الى ان الرجل يتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا ترفعه الى الجنة وان الرجل يتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا تهوى به في جهنم ابعد مما بيب المشرق والمغرب، **والوضوح** اذ يرى المستشرق جوستاف لوبون ان شدة وضوح الاسلام هو سبب انتشاره. وتتضمن هذه المواصفات ايضا **نبذ الاشاعة** يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة» ونبذ السب والقذف وعدم نشر الصوزة الخليعة والحوادث المثيرة والماجنة وقصص الجنس بصورة مباشرة او غير مباشرة : «قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق.»

2 ـ الوسيلة :

ان الـوسيلة في الاسلام كانت القناة التي حملت الرسائل الاسلامية الى بلاد الشام وافريقيا واوروبا والشرق الاقصى . وقد وظفت جل الوسائل الاعلامية كالخطبة وحلقات الدعوة والمسجد والمندوب الاعلامي والمراسل الخ في خدمة الرسائل الاسلامية ويدعو الاسلام الى اكتساب كل الوسائل الحديثة التي تمكن من ايصال الرسالة دون عوائق زمانية . وقد ورد ذلك في الاية «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وقد تعني القوة هنا الوسائل الحديثة للاتصال وتكييف الرسالة مع الوسيلة بحيث ان الـوضعية تتـطلب انتـاج الافلام والمسلسلات والرسوم المتحركة والحصص الترفيهية والتعليمية التي تخدم الرسالة الاسلامية .

3 ـ المرسل :

ان الصحفي لا ينبغي ان يمتلك فقط تقنيات استخدام الوسيلة ولكن ايضا مضامين الرسالة التي يريد ايصالها وتتمثل نظرة الاسلام الى المرسل في مجموعة من الخصائص :

أ ـ الصدق : وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم في وصف بعض الرسل بـ «صديقا» او «صادق الوعد» . وقد ورد في الادبيات الاعلامية الغربية مفهوم يقترب من الصدق ويتمثل في الموضوعية ، فقيل ان الصحفي ينبغي ان يكون موضوعيا ، اي انه يقدم مختلف اطراف القضية المطروحة . وفي هذا السياق نجد ان الصدق اعلى مرتبة من الموضوعية ذلك انه اذا كانت الموضوعية تتوقف عند حد تقديم العوامل المختلفة عن قضية ، فان الصدق يذهب ابعد من ذلك فيستخدم هذه العوامل قصد الوصول الى الحقيقة والحقيقة اسلامية في هذه الحالة . وفي مناقشة مذكرة عن حديث الاثنين الذي يقدمه الشيخ الامام محمد الغزالي في التلفزيون الجزائري اتضح ان اهم صفة تميز بها هي الصدق ذلك انه يثير القضية ثم يعيدها الى اصولها ثم يقدم الحجج العقلية والامبريقية ثم يفرز بين الاصل والدخيل فيصل الى حقيقة الشيء الوارد في الشريعة . واستطاع هكذا ان يبرز هذا القدر من العقلانية والتوازن والصدق الذي تحمله الدعوة الاسلامية .

ب ـ ان يكون المرسل ملما مستعينا بمختلف الفروع المعرفية . فالرسالة الاسلامية لا تقتصر على جانب من الحياة دون آخر فهي شمولية . وقد جاء هذا المعنى في تعريف محمد الغزالي للدعوة عندما عرفها بأنها تشمل جميع المعارف التي يحتاج اليها الناس . ويتضمن حديث الاثنين معارف عدة تدل على سعة الافق الشيء الذي يمكن من استنباط الادلة وتوضيح الرؤيا وربط الصلة بين حقائق مشتتة مبعثرة الخ . فالمرسل في الاسلام هو رجل ثقافة وليس اداة تقنية تقوم بنقل الشيء المصدر الى الملتقى .

ج ـ مراعاة ميول الجمهور وحوافزه ونفسيته ومستوى ثقافته والظروف الاجتماعية التي يحياها ذلـك ان الرسالة تجد سبيلها الى الانسان عندما يكون الداء مشخصا بناء على ذلك . ان نقل

الرسالة يتطلب التفاعل بين المرسل والجمهور، والرسالة تكون فعالة عندما تكون مبنية على معرفة الجمهور. ان رسالة الدعوة الموجهة الى جمهور سكان الريف ليست هي نفس بالرسالة الموجهة الى جمهور المثقفين او جمهور النساء او جمهور فئة معينة او اجتماعية او سياسية، الخ . . وقد اعتمد الرسول (ص) على هذا المتغير في دعوته الى الاسلام. فقد ارسل رسالة الى هرقل عظيم الروم جاء فيها : «فاني ادعوك بدعاية الاسم اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان تتول فان اثم الاكاريس عليك». والاكارين هم الزراع والحراث والمقصود بهم رعية هرقل. وارسل رسالة في نفس السياق الى النجاشي عظيم الحبشة جاء فيها : «فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن. واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة. فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده «الى ان يقول» وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى وجاء في الرسالة التي وجهها الى كسرى ملك الفرس جاء فيها «فاسلم تسلم، فان ابيت فإن إثم المجوس عليك». وقد كيف الرسول (ص) الرسالة حسب نوعية الجهة المخاطبة. وتقول بعض الروايات في رد فعل هرقل انه لم يستطع اعلان اسلامه خوفا ممن حوله، وان كسرى مزق رسالة الرسول بينما اسلم النجاشي عظيم الحبشة. ويتضح هذا في حديث الاثنين الذي اشرت اليه. فالحديث يقوم على منهجية تراعي وتحدد الفرد الذي تتوجه اليه. فالحديث الموجه الى الفرد المتشكك ليس هو نفس الحديث الموجه الى الفرد المتردد او الى الفرد المتيقن او الى الفرد الجاحد الخ . . الشيء الذي جعل رسالة حديث الاثنين تمس مختلف الشرائح الاجتماعية على مختلف مستوياتها الثقافية والاجتماعية والنفسية. واذا فان على المرسل او الداعي في الاسلام ان يكون على دراية بنفسية وحوافز الجمهور الذي يخاطبه كي تصل الرسالة. والحقائق التي يقوم عليها الاعلام الاسلامي تراعي عقلية الجمهور ونفسيته وميوله واتجاهات، فالإعلام امتداد للمجتمع باسره وهو ماثل في كل عنصر من عناصر النظام الاجتماعي المتكامل.

ان مواصفات الصدق والمعرفة ومراعاة الغير هي التي تمكن رجل الاعلام عندما يدرك الفلسفة الاعلامية في مجتمعه ويقتنع بها من ايجاد الدافع الحقيقي لاقناع الناس بما يقدم لهم من اعلام.

ـ المقترح

ان تحديد التوصيات لا ينبغي ان ينصب على باحث في معزل فمن استشار الناس شاركهم في عقولها. وقد استشرت في هذا السياق لوائح ومقررات جامعة الدول العربية الخاصة باقامة نظام اعلامي عربي جديد ولوائح ومقرارات المؤتمر العالمي الاول للاعلام الاسلامي ولوائح ومقررات منظمة اليونسكو في اطروحاتها الخاصة بمحاولة إقامة نظام اعلامي عالمي جديد. ويمكن في هذا الاطار تقديم التوصيات التالية عن كل من الوسيلة والرسالة والمرسل والجمهور في اطار تحقيق اعلام اسلامي يسعى الى اقامة مجتمع اسلامي معاصر.

ان الاعـلام الاسـلامي يتـطلب استخـدام وسائل الاعلام، بما في ذلك الوسائل السمعية والبصرية والقمـر الصنـاعي العـربي، كادوات تحمل القيم والمباديء التي يقوم عليها الاسلام وتقديم النماذج الاسلامية في الحياة الانسانية ووجوه عطائه الحضاري. ويتطلب ذلك ايضا دراسة واقعنا الاسلامي وتحليل العوامل التي أدت بالمجتمعات الاسلامية الى القعود والضعف والتخلف وتحديد منطلقات الدفع لتصحيح مسار الامة الاسلامية الى الاصالة والتجديد. ويستلزم هذا الاعلام التعمق في دراسة التحديات الحضارية المعاصرة والتصدي بمنهجية للحملات الاعلامية المعادية للاسلام والامة الاسلامية. يتعين على الاعلاميين في العالم الاسلامي التدقيق فيما ينشر ويذاع حماية للامة الاسلامية من التأثيرات الضارة بشخصيتها الاسلامية وبمرتكزاتها.

ويتطلب من الاعلاميين تأدية رسالتهم بأسلوب نزيه يحافظ على أخلاقيات المهنة وعلى الآداب العامة فلا يستخدمون الفاظا نابية ولا ينشرون الصور الخليعة ولا يتعرضون بالسخرية والطعن الشخصي والقذف والسب والشتم واثارة الفتن ونشر الشائعات. ويتعين على الاعلاميين الامتناع عن اذاعة ونشر كل ما يمس الآداب العامة او يوحي بالانحلال الخلقي او يرغب في الجريمة والعنف والانتحار او يبعث الرعب او يثير الغرائز سواء بطريق مباشر او غير مباشر وكذا الامتناع عن اذاعة ونشر الاشهار التجاري المعارض مع الاخلاق والقيم الاسلامية

وتلح الضرورة في عصر الاعـلام ادخـال تخصص الاعـلام الاسـلامي في معـاهد تكوين الصحفيين وفي الجامعات الاسلامية.

ويتعين في سياق تربية النشء العناية ببرامج وكتب ووسائل الاعلام للاطفال وتشجيع كل جهد اسلامي في هذا الميدان.

وينبغي في مجال التعاون على مستوى العالم الاسلامي ان تحمل وسائل الاعلام في هذه البلدان وخاصة الاذاعة والتلفزيون باذاعة وبث البرامج الاسلامية التي تنتجها غيرها من المؤسسات وكذا تدعيم وكـالة الانباء الاسلامية الدولية، ومنظمة اذاعة الدول الاسلامية وغيرها. وينبغي على المستوى العالمي التأثير في وسائل الاعلام العالمية ودعمها بمختلف الوسائل وصولا لموضوعيتها او حيادها وتأييدها للقضايا الاسلامية.

كما ينبغي تحقيق التعـاون مع وفيما بين وسـائـل الاعلام الاسلامية الموجودة في العالم ودعم استمرارها في خدمة مسلمي هذه البلاد وتوضيح معاني الاسلام لغير المسلمين من سكانها.

وفي الختام اقول انه ينبغي ان تنفذ الرسالة الاسلامية المتعثرة الى قضاء هذه الوسائل المتوفرة في العالم الاسلامي حتى لا يحدث ما حدث لمبعوث الشاعر لقيط بن يعمر الايادي والذي اوفده هذا الشاعر الى قومه يندرهم بقدوم كسرى في رسالة لفظية يقول فيها :

ولقد بعثت مع الرياح قصيدة مني مغلغلة الى القعقاع
ابلغ ايادا وحلل في سراتهم اني ارى الراي ان لم اعص قد نفعا

فوقع المبعوث في يد كسرى فقطع لسانه فلم تصل الرسالة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الهوامش

★) محاضرة القيت في ملتقى الفكر الاسلامي الثالث والعشرون الذي انعقد تحت شعار نحو مجتمع اسلامي معاصر وذلك في الفترة ما بين 28 اوت و5 سبتمبر 1989 بمدينة تبسة الجزائر

1) مقولة هارولد لاسويل أحد الباحثين الغربيين في ميدان الاعلام و وسائله

2) 5 .محمد سيد محمد المسؤولية الاعلامية في الاسلام ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري

3) الملف الاحصائي ، احصائيات الثقافة في الوطن العربي ، مجلة المستقبل العربي العدد 123 سنة 1989 ، ص 180/178

4) في محمد سيد محمد ص 47

5) محمد حسنين هيكل ، وجها لوجه ، العربي ، العدد 326 ، جانفي 1986